مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

التعلم لتحسين المعيشة

د. سعدية إبراهيم علي

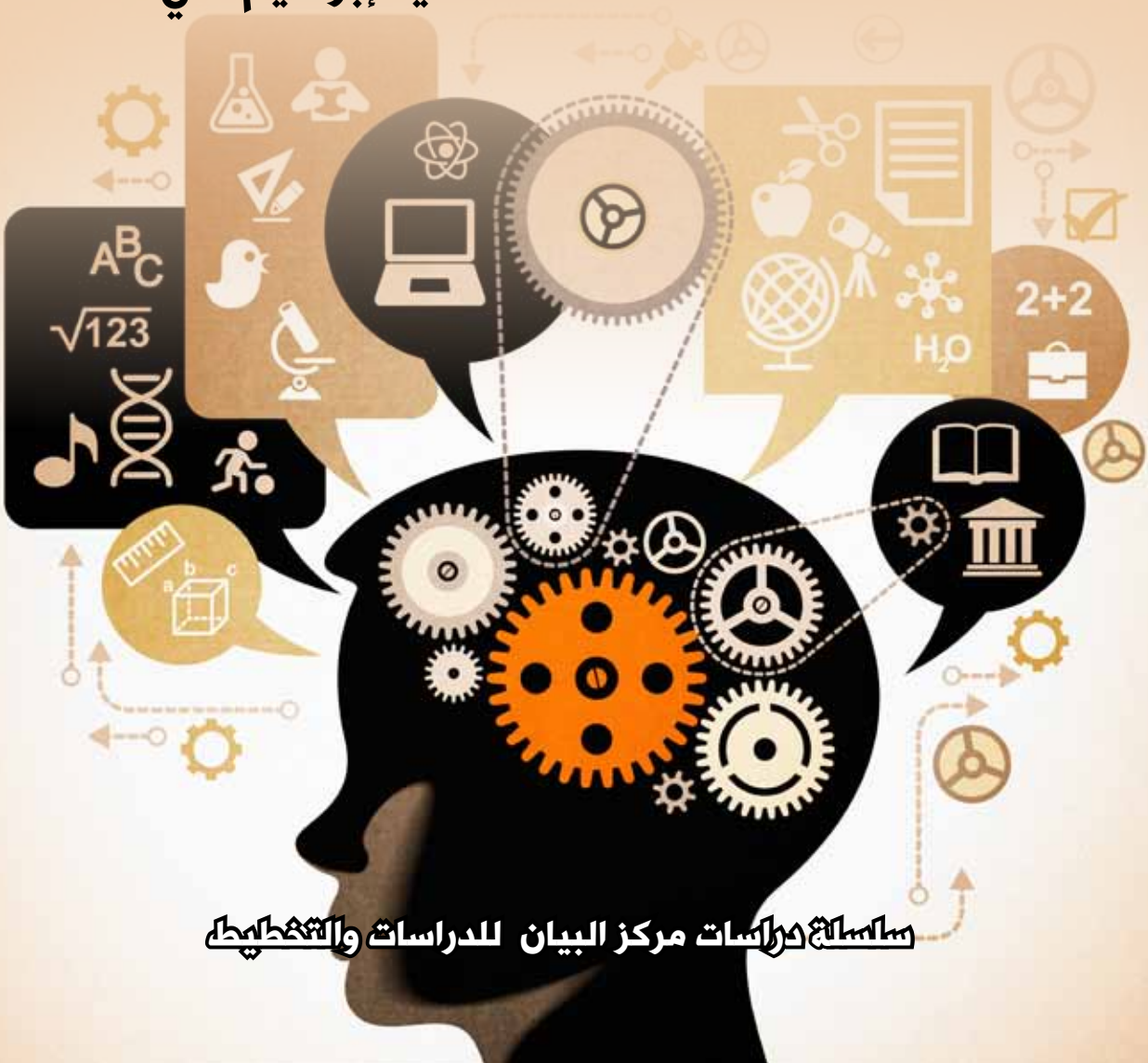

سلسلة دراسات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد. مهمته الرئيسة، فضلاً عن قضايا أخرى، تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بشكل خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام. ويسعى إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

جميع الحقوق محفوظة © لمركز البيان للدراسات والتخطيط 2016

الاراء الواردة في هذا البحث لاتعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز

التعلم لتحسين المعيشة

د. سعدية إبراهيم علي

1. مشكلة البحث

مر العراق بسنوات طويلة من الحروب التي اثرت على نظام التعليم وإنتاج نسبة عالية من الأمية, إن العنف المتواصل جعل الآباء غير راغبين بإرسال أطفالهم إلى المدرسة إضافة إلى ممارسة ضغوط على الأطفال لأجل العمل والمساهمة في توفير دخل الاسرة. وحسب الدراسة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة العراقية لعام (2007), تبين أن هناك فرد واحد من بين خمسة افراد لا يجيد القراءة والكتابة. وكانت هذه الدراسة قد انجزت بتعاون وحدة الاحصاء العراقية مع البنك الدولي. وأشارت الدراسة بأن 23 % من العراقيين بحاجة إلى تطوير التعليم والحساب والمقدرات اللغوية لكي يواجهوا متطلبات الحياة المدنية.

واستجابة لذلك قام الرئيس العراقي السابق جلال الطالباني بإعلان قانون رقم (23) في 4 اكتوبر عام 2011 والذي تضمن محو الأمية في العراق. وفي الحادي عشر من سبتمبر عام 2012 أعلن رئيس مجلس الوزراء السابق نوري المالكي الشروع بالحملة الوطنية لمحو الأمية حسب القانون المرقم (320) تزامناً مع الحملة العالمية لمحو الأمية, وبموجب ذلك تم تطوير استراتيجيات تعليم الكبار[1].

2. هدف البحث

يهدف البحث لدراسة الوثيقة السياسية العراقية للتعليم التي أطلق عليها الباحث (التعليم لتحسين المعيشة), من ناحية الأيديولوجيات والخطابات التي انطلق منها هذا المشروع. ومدى تأثيرها في تمكين البالغين لمواجهة متطلبات اللغة والتعليم والحساب المتأصلة في كل جوانب حياتهم, حيث "يسلخ التجديد كل السبل التقليدية للسلوك والمعرفة"[2].

1 - الوثيقة العراقية لمحو الامية.
.http://www.moj.gov.iq/uploaded/4212.pdf

2- Street, 2004, p-328.

3. فرضية البحث

''التعليم هو ليس فقط عملية تعلم مهارات القراءة والكتابة والحساب, بل هو الاسهام في تحرير الانسان وتطويره. وبهذا المفهوم فالتعليم يخلق الظروف لاكتساب الإحساس الناقد لتناقضات المجتمع الذي يعيش فيه ولأهدافه. فهو يحفز على المبادرة والمساهمة في خلق المشاريع التي تمكنه من التصرف في العالم, لتغييره وللتعريف بالأهداف الحقيقية للتطور البشري''[3].

إن هذه القضايا والاهتمامات تعطى سياق بتقييم الخطابات القديمة حول التعليم ضمن الثقافة المبنية على الحروف المدونة. و قصد هذه الدراسة هو استكشاف التعقيدات التي تحيط بمفهوم التعليم في العالم المعاصر والتفاعلات المعقدة بين الإعلام المتعدد و تكنلوجيا المعلومات المختلفة التي يعتمد عليها, التي تشكل السياق الرئيسي الذي تنبثق منه الأشكال المستقبلية لمفاهيم التعليم والأمية.

ويمكننا اعادة صياغة ذلك بالسؤال الآتي, هل يوجد تعليم عام واحد قد يخدم وظائف مختلفة أو عدة أنواع من التعليم, كل منها يلائم وظيفة اجتماعية معينة في سياق اجتماعي معين؟

4. تحليل أيديولوجيات وخطابات الوثيقة السياسية العراقية لمحو الأمية:

تهدف استراتيجية التعليم الأساسي «تقديم الفرصة للفرد لتطوير معرفته بالقراءة والكتابة والحساب من أجل تطوير مهنته ورفع مستوى حياته ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً»[4].

وبموجب الأهداف المعلنة في هذه الوثيقة, فإن التعليم يفهم بأنه مجموعة مهارات تقنية تمثل مصدر تعليمي يُقيّم وفق معايير النتاجات الاقتصادية. وضمن هذا الإطار فإن الوظائف تقارن بالمهارات التعليمية وهذه المهارات بالاحتياجات الاقتصادية. وحسب (Gee etal.)[5] فإن التعليم يتماشى مع الوقت والعمل والمال وهو جزء من الاقتصاد.

إن هذا المنظور من التعليم يرتبط بالخطابات حول قياس التطور المجتمعي. إن المعاني المهنية النفعية التي شكلت التعليم الوظيفي في العراق يمكن أن تُفنّد بوجهات النظر التي ظهرت في خطابات التعليم النقدية في التدريس والكتابة لـ (Paulo Freire›s) في سبعينيات القرن الماضي, فإنه يقول[6]

3- Arnove, Robert, F. & Graff, Harvey, J. 1987, P.9.

4 - الوثيقة العراقية لمحو الامية, ص1.

5 - Gee etal (1996, p. 312).

6 - Freire, (1972, p312).

في هذا الشأن بأن (برامج التعليم التي تخدم المنفعة الاقتصادية كانت بجوهرها حائرة). فكانت تعتبر المتعلمين كأفراد سلبيين مكبحين في (ثقافة الصمت), (صمت المظلومين). يذكر (Freire)[7] بأن (العامل الأكثر أهمية في ثقافة التعليم للكبار هو ليس تعلم الكتابة والقراءة لنص بدون استيعاب نقدي للبيئة الاجتماعية التي ينتمون إليها.

فهذا بالنسبة لـ (Freire) ''نوع من التعليم الذي يهم الطبقة المهيمنة'', وأنه الدخول المحايد إلى عالم الحروف وكلما كان هذا الدخول محايداً فإنه يؤنس أصحاب النفوذ أكثر.

بالنسبة لـ (Freire) ''المعرفة التي يحصل عليها المتعلمون مبكراً نتيجة لتحليل النظرية أو المعتقد بطريقة عملية في بيئتها الاجتماعية؛ تفتح لهم إمكانية المعرفة الجديدة[8]. وهذا يكشف أسباب الوجود خلف الحقائق وبذلك تُجرّد من الأسطورة التفسيرات الخاطئة لنفس الحقيقة. (Freire) يتحدث عن خبرته في غينيا بيساو في أفريقيا خلال مهمة التربية في حقل التعليم. يعتقد (Freire)[9] بأن ''تربية المظلومين وأصحاب المعاناة يجب أن تكون سياسية وغير حيادية وإلّا فلا تكون ناجحة'', فلقد عمل مع المقاتلين المرتبطين في إعادة بناء بلدهم.

وفي هذه الحالة فإنها كانت عملية لفهم مستوى المعرفة عند الناس وقابليتهم النقدية التي تتعلق بخبرتهم في العملية. وبذلك قام (Freire) بتقييم استنتاجاته أثناء عملية التنسيق مع الناس. وهكذا استبدلت الآراء المجردة عن الحقائق بالفهم العميق لأهميتها الحقيقية. فكان تحليل صراع التحرير ''كحقيقة ثقافية'' تحدياً لـ (Freire) وكعامل ثقافي. وبذلك أصبح علمياً أكثر, ومن ثم تغلب على ما يسمى بـ (ضعف الثقافة). إن عمل (Freire) كهذا, المبني على التفكير في الميادين العملية, قد يعطي نهضة لمراكز الدراسة المبينة على مفاهيم معينة التي يدور حولها الناس مثل الزراعة والصحة, وهذا بدوره يؤدي إلى معرفة عميقة ومنظمة. فلم يكن العمل مقتصراً على تدريب العمال والذي كان يعتبر ضرورياً لزيادة الإنتاج بل لتوسيع آفاق العمال من خلال فهم عملية الإنتاج نفسها.

إن خبرة (Freire) في غينيا بيساو يمكن أن تنطبق على الفقرة (ج, ص5) من الوثيقة العراقية[10] التي تتضمن ''فتح ورش لتعليم بعض مهارات الحياة المناسبة لبيئة المتعلمات وتوفير المستلزمات اللازمة لذلك''.

إن الميزة الرئيسية لممارسات التعليم في مجال العمل هي تضمين ممارسات التعليم في بيئات خاصة, تتحدى التحدث عن التعليم من منطلق المهارات الأساسية والحاح المدارس والبرامج المهنية

7 - Freire, (1978, p. 23).
8 - Freire, (1972, p. 158).
9 - Freire (1972, p. 217).
10 - الفقرة (ج, ص5), من الوثيقة العراقية لمحو الأمية.

ودروس تعليم الباغين (الاساسيات).

إن عدداً من مساهمات (Prinsloo & Breier) تهتم بممارسات التعليم المبنية على أساس العمل حيث إن أغلب العمل قديم حول ما يسمى بـ (الأماكن الجديدة للإنتاج العالمي)[11], حيث تميزت دراسات (Gee etal) بإنهاء الإنتاج والعمل الجماعي أو الفِرَقَ التي يقودها رئيس فريق، والذي يعيّن بدوره من طبقات العمال ويدرب بشكل واسع على ممارسات بناء فرق العمال. وبذلك فإن دراسات التعليم الحديثة لأماكن العمل كهذه كما في الولايات المتحدة[12] واستراليا[13] وجنوب افريقيا[14] قد بينت بأنه على الرغم من أن أماكن العمل قد تحولت إلى بيئات غنية يتجلى فيها العمل بشكل متزايد بالنصوص التعليمية ولكن عملية منح السلطة وزيادة مهارة الأفراد العاملين بقيت غير متكافئة وكانت تتبع الخطوط الاجتماعية المتسلطة للغة والعرق والطبقة وبشكل جزئي, الجنس.

إن استراتيجية وثيقة التعليم العراقية[15] (صفحة 1) تبيّن بأن ''الفرد المتعلم يحتاج أن يتقن القراءة والكتابة, والحساب ومتطلبات اللغة لكي يواكب احتياجات الحياة الحديثة''.

في مفهوم أبحاث التعليم الحديثة فإن (Street)[16] يؤكد على المنظور الجديد لعلم اللغة المكيف اجتماعياً والمتضمن:

(النظر للغة والتعليم ككيان ومصدر أكثر من كونهما مجموعة قواعد تستغل دور اللغة والتعلم في إنجاز أجندات اجتماعية تعمل لتأسيس علاقات بين المشاركين وتقوم بتحدي علاقات التسلط وعلاقة اللغة والتعلم بوسائل التواصل الاخرى وخلق المعنى مثل المرئيات, والإيماءات والأيقونات الممزوجة مع استعمال اللغة).

إن هذا المنظور يتضمن افتراضياً بأن المشاركين في التعلم يجندوا المعرفة المخفية لخصائص اللغة والتعلم والحساب لخلق أبعادها الاجتماعية, خصائص تفاعل الصفوف الدراسية التي تُفقد عندما يكون التركيز على (التصحيح) و (التعريف). وضع (Street)[17] جوانب طريقة (الأمية الأكاديمية) لما يطلق عليه بـ (الحسابات الأكاديمية) مقابل الحسابات المطلوبة في الحياة اليومية. فقد أضاف

11 - Gee etal., (1996, p. 118).
12 - Hull etal., (1996).
13 - Ferrell, (1997).
14 - Sholtz & Prinsloo, (2001).
15 - الوثيقة العراقية لمحو الأمية.
16 - Street, (2005, p. 136).
17 - Street (1999).

(Street) تلك الآراء إلى مفهوم البعد في درس الرياضيات حيث قام أحد المتعلمين باستثمار الأسس الرياضية بدلاً من أن يسترجع ويعيد سلطة المعلم أي أنه استخدم الخصائص المخزونة خلف المتطلبات الرسمية و أظهرها في خصائص اللغة. فيكون جواب المتعلم:

«لا يوجد شكل في الرياضيات ذات بعد واحد, لأن الخط المستقيم هو نوع يشبه مستطيل مملوء»[18], وكان ذلك جواباً على سؤال المعلم (هل تعرف ما هو الشكل ذو البعد الواحد؟).

أعلن رئيس الجمهورية العراقية السابق جلال الطالباني في الوثيقة في ص (4) الفقرة (م) بأن ''الكتب والمجلات والدوريات وكل الوسائل التقنية يجب أن تزود للمتعلمين لتطوير معرفتهم ومهاراتهم إلى حين إكمال المستويات المطلوبة''[19]. يعارض (Freire)[20] هذا المنظور لأنه يعتقد بأن التعليم يجب أن ينبثق من اهتمام الناس المتعلمين إذ إنه سيساعدهم لتكوين نصوص من خلال خبرتهم الخاصة وتجاربهم الاجتماعية. بعكس التوجه النفعي للتعليم المهني في الوقت الحالي. إن هذا التعلم يتحدى التعليم اليومي والذي هو مجرد تعلم مجموعة مهارات تقنية محايدة.

إن المنظور البلاغي الجديد بتأكيده على طبيعة النصوص المصاغة اجتماعياً يضفي وجهات نظر مهمة ويدعم الأفكار الأيديولوجية لكتابة النصوص.

هناك أبحاث تدعم كشف أهمية النصوص الثقافية والأيديولوجية والسياسية وهي الطريقة التي تنشأ وتتغير استجابة لبيئتها وكيفية قيام ذلك بتجسيد تلك البيئات[21].

وهكذا فإنها تفتح احتمالية التحدي والمقاومة. ولو أن هذا المنظور يتضمن حالة بأن التعليم ليس مجموعة فردية كما يفهم غالباً. إن هذا التوجه لا يتعلق بشكل مباشر بالقضايا المركزية لأيديولوجية وطريقة التعليم. إن هذه القضايا تتضمن طرقاً أكثر فاعلية للخطابات القوية وأنواع النصوص لمجتمعات معينة ووسائل نقد هذه النصوص والممارسات الثقافية, لأن ممارسات التعليم ''تتغير وتكتسب أخرى جديدة من خلال طرق الفهم والتعلم غير الرسمية بالإضافة إلى التعليم الرسمي والتدريب[22].

إن ما تنقصه الوثيقة العراقية الرسمية لمحو الأمية هو الإشارة إلى المقدرة والميل لاستخدام

18 - Street, (2005, p. 137).

19 - الوثيقة العراقية لمحو الأمية, ص4, الفقرة م.

20 - Freire (1972).

21 - Coe, 2002, (cited in Barton etal., 2000)

22 - Barton & Hamilton, (2000, p. 5).

التكنولوجيا بشكل فعال. يناقش (Gee)[23] ويبين أن ''تعاريف» التعليم تتغير عبر الزمان كلما تمر المجتمعات بالتحول من بيئة اجتماعية, تاريخية أو أيديولوجية أو تقنية إلى أخرى مبتدعة مجموعة مختلفة من الاحتياجات والاولويات التعليمية, وبدورها تكتسب معناً مع الإطار التعليمي الذي نشأت منه''.

إن مفاهيم (Gee)[24] ''للتعليم المتنوع'' و ''الخطابات المتنوعة'' تقدم أيضاً وسائل مفيدة جداً في تفسير الهويات والوقائع المتنوعة التي تشكل جزءاً اساسياً لنصوص الحاسوب المتعددة الانواع. فقد سمحت لنا التكنولوجيا المعلوماتية بالتواصل عبر الزمان والمكان والمشاركة في التواصل بمجموعة جديدة من النصوص التي تتطلب أساليب مختلفة من القراءة المتضمنة لطرق مختلفة في تشكيل النصوص. يعتمد الناس اليوم على أنواع المهارات والمعرفة والسلوك والخبرات الحساسة للوصول إلى المعلومات من أجل إنتاج المعرفة. يركز أنصار التعليم الحديث (New Literacy Group)[25] على مفهومين من التعليم المتنوع.

فالأول هو من منطلق ظهور طرق التواصل المتنوعة والقنوات والإعلام التي تشير إلى الأساليب المتنوعة والمترابطة لتكوين المعاني حيث يكون النص مرتبط بالمرئيات والسمعيات والمكان والسلوك[26].

ويشير المفهوم الثاني للتعليم المتنوع إلى ''الزيادة في أهمية الثقافة وتنوع علم اللغة» (Gee)[27]. هذا يدل على زيادة مستوى كفاءة التواصل باللغات المختلفة واللهجات والرموز اللغوية المطلوبة والمتعلقة بصنف خاص في المجتمع ليؤدوا دورهم كعمال ومواطنين في الاقتصاد الثقافي العالمي.

إن الوثيقة العراقية لمحو الأمية[28] صفحة (1) تشير إلى أن ''امتلاك الفرد مهارات القراءة والكتابة والحساب لتطوير مهنته ومستوى معيشته ثقافياً و اجتماعياً واقتصادياً وتمكينه من ممارسة حقوق المواطنة الصالحة والتزاماتها بالاشتراك في صنع القرارات وأداء الواجبات العامة وأن تتصل هذه المعرفة بحركة المجتمع''.

إن هذه النظرة للتعليم تؤكد على العلاقة التكاملية بين التعليم والتعبير عن النفس بشكل جيد، بالإضافة إلى أهمية تحفيز الفرد إلى قراءة ما وراء المعنى الحرفي في النص, أي ينشغل المتعلم

23 - Gee (2000, p.151).
24 - Gee, (1999, p. 153).
25 - New Literacy Group, 1996, p. 6, (cited in Gee (2000, p. 232).
26 - Kress, 1997, cited in Gee (2000, p. 282).
27 - Gee (1999, p. 63).
28 - Gee (1999, p. 63).

بالنقد الاجتماعي كما يناقشه مفهوم (Habermas)[29] المعروف بـ (الفعالية التواصلية) حيث أنها تسمح للناس بأن يحتلوا مواقع لها علاقة بالعالم بطريقة تفكير عميقة. إن الناس بحاجة إلى خبرة في اللغة ليتمكنوا من المساهمة الفاعلة في الديموقراطية لأنه لا جدوى من الوصول إلى المعلومات التي لا يفهموها ولا في اغتنام الفرصة لافتراض سياسات لا يقدرون على تشكيلها. إن الناس يستلمون المعلومات بنسب مختلفة من الآخرين كالعائلة والصديق ورفاق العمل والصحفيين والسياسيين ومجاميع السلطة. إن المجتمع الديموقراطي بحاجة لأناس لهم المقدرة اللغوية التي تمكنهم من مناقشة وتقييم وفهم ما يقال لهم بالإضافة إلى اتخاذ الاجراءات الفعالة على أساس الفهم. إن عمل الديموقراطية يعتمد على الاستعمال المميز للغة من جانب مستخدميها, وللتعليم أيضاً حالة سياسية بالنسبة لاحتياجات التعليم المتنوعة المرتبطة بالمواطنة الديموقراطية, وهذا يتضمن امتلاك المهارات والمعرفة والمواقف الضرورية لاستغلال ذلك وتكوين القرارات المعروفة حولها وممارسة الحقوق والواجبات في المجتمع الديموقراطي. على سبيل المثال, مهارات التواصل التي تتضمن المناقشات، وتكوين الآراء والتعبير وتقييم الأفكار، وفهم التحييز والتهميش التي تعتبر عناصر أساسية لتعلم كيفية المشاركة الفعالة في العملية الديموقراطية.

ومن الجدير بالذكر في هذا البحث أن بعض الممارسات التعليمية التي أهملت من قبل مؤسسات التعليم المهيمنة في العالم وهي (التعلم العامي) (Vernacular Literacy). لقد قام (Street)[30] ببحث في قرية ايرانية خلال الحملة الوطنية للتعليم فوجد بأن هناك تعليم يستخدم في الحياة اليومية مثل التعليم الديني للقرآن والتعليم المطبق في تعاملات البيع والشراء في السوق رغم اعتبار سكان تلك القرية اميين بمعيار الحملة الوطنية للتعليم فيما اعتبر (Street) بأن هذا ''التعليم العامي'' هو تعليم فعال.

5. خلاصة البحث

في عالم غزير بالمعلومات, يحتاج الكبار أن يكونوا متعلمين لمهارات القراءة والكتابة والحساب ولديهم مهارات تقنية مهنية. فالوثيقة السياسية العراقية لمحو الأمية تجسد المهارات المذكورة أعلاه كمهارات أساسية، ولكنها تفتقر إلى العديد من الأيديولوجيات والخطابات لكي تخاطب ظهور قنوات التواصل المتعددة ولتخاطب أيضاً البروز المتزايد للتعدد اللغوي والثقافي, لذلك فإن الكبار بحاجة إلى دعم لرفع مستوى كفاءة التواصل باللغات المختلفة واللهجات والرموز اللغوية المطلوبة

29 - Habermas, 1997, (cited in street, 1991).
30 - Street (1984, cited in Baynham & Prisloo, 2001, p. 85).

والمتعلقة بصنف خاص في المجتمع ليؤدوا دورهم كعمال, ومواطنين في الاقتصاد الثقافي العالمي.

إن استراتيجية الوثيقة العراقية تتضمن أهدافاً ومهمات ممتازة لتخاطب التعليم الأساسي والفعال. أود أن أشهد تطور التعليم متعدد الوسائط من خلال الاستراتيجية هذه.

References

Arnove, Robert, F. & Groff, Harvey, J. (1987) National literacy Campaign: Historical and Comparative Perspective. New York: Plenum Press.

Barkeley, CA/ National Centre for research in vocational education and the National Centre for the study of Writing and Literacy.

Barton, D. & Hamilton, M. (2000) literacy practices. In D. Barton, M. Hamilton, & R. Evanic (eds) Situated Literacies: Reading and Writing in Context (pp. 7-15). [London. Rotledge].

Baynham, Mike & Prinsloo, Mastine (2001) New Directions in Literacy Research. Language and Education, 15 (2 & 3).

Farrell, L. (1997) Literacy, schooling and the workplace revolution. English in Australia (119) (20), 56-62.

Freire, Paulo (1978) Pedagogy in Process. New York: The Seabury Press.

Freire, P. (1972) The Pedagogy of the Oppressed. Penguin: London.

Gee, J. Hull, G. & Lankshear, C. (1996). The New Work Order: Behind the Language of New Capitalism. St Leonards: Allen and Unwin.

Gee, J. P. (2000). The New Literacy Studies: From "socially situated" to the work of the social. in D. Barton, M. Hamilton, & R. Ivanic, R. (Eds)., Situated literacies: Reading and writing in context (pp. 180-196), London: Routledge.

Habermas, Jürgen. 1997. A Berlin Republic: Writings on Germany, English translation by Steven Rendall. Lincoln: University of Nebraska Press (originally published in German in 1995).

Hull, G. Jury, M. Oren, Z. and Katz, M. (1996). Changing Work, Changing Literacy? A study of skill requirements and development in a traditional and Restructured Workplace, Final Report.

Illiteracy Eradication Campaign, cited on 7 MARCH 2015, http://www.moj.gov.iq/uploaded/4212.pdf.

Prinsloo, M. & Breier, M. (eds) (1996) The Social Uses of Literacy. Amstrdam: John Benjamins / SACHED.

Sholtz, S. & Prinsloo, M. (2001) New Workplace, new literacies, new identities. Journal of Adolescent and Adult literacy 44(8) (May), 710-13.

Street, Brian (2004), 'Features of The Ethnography of Literacy', Language and Education. 18(1).

Street, Brain (2004), The Hidden Dimensions of the Mathematical Language and Literacy. Language and Education 19(2).

Street, Brain (1999), Literacy in Theory and Practise. Cambridge: Cambridge University Press.

Unesco, (2007) viewed 24 March 2015 http://www.unesco.org/new/iraq.office/literacy-non-formal-education-formalliteracy.